

تلخيص كتاب :

المشوق
إلى القرآن

تأليف : الشيخ عمرو الشرقاوي

t.me/suqya_4

• زيت القرآن برّاق قابل للاشتعال، فإن اشتعل = فالخير لك!

فقط: افرك الحجر، أو اقدح الكبريت.

• للقرآن أسرار .. لا تظهر إلا بطول المصاحبة!

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾

• من لم يكابد حقائق القرآن لهيباً = يحرق باطن الإثم من نفسه، فلا حظّ له من نوره!

هذه أوراقٌ متناثرة كتبت في أزمان متباعدة، بعضها وليد بحث، والآخر وليد خاطرة، غايتها تشويق الأنام إلى كلام الملك العلام، كتاب الله المجيد ذي الذكر، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وإن القرآن لهو بحق مشروع العمر، وبرنامج العبد في سيره إلى الله حتى يلقي الله، وما كان تنجيم القرآن، وتصريف آياته على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ إلا خدمة لهذا المقصد الرباني الحكيم!

إنّ نور القرآن لا يمتد شعاعه إلى الآخرين؛ إلا باشتعال قلب حامل كلماته، وتوجهه بحقائقه الإيمانية الملتهبة!

وإنه لكتاب عزيز :

كان الفضيل بن عياض شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنّه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ... [الحديد: ١٦]، فلما سمعها، قال: بلى يا رب، قد آن! فرجع، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سائلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا.

قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام .

هذه قصة توبة بسبب آية من كتاب الله، وبداية لفتح علاقة جديدة مع القرآن امتدت مع الفضيل بن عياض حتى مات، بل وورثها ولده قتيل القرآن

القرآن هو كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز.

إنَّ القرآن يستمد مجده، وعلو شأنه ورفعته، من عظمة وجلال من تكلم به، وهو الله. ولا يليق بنا أن نبتعد عن مصدر الهدى والمجد كتاب الله ذي الذكر، فلا بد أن نتصالح مع القرآن، وأول طريق التصالح مع القرآن أن تتحايل على نفسك بالإكثار من تلاوة القرآن، تلاوة لا كالتلاوات السابقة، تلاوة لا تنتظر فيها موعدًا، تلاوة لا تشغل فيها بغير القرآن، إنَّ القرآن كتاب عزيز لا بد أن تعطيه أنفس ما تملك من أوقات، فأقبل عليه وإياك أن تبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه

*** إنَّ لحزب الليل، وترتيل الكتاب في وقت اجتماع القلب = لقصة أخرى، إنَّ مما نعانیه من هذه المادية الطاغية قلب حقائق الكون، إنَّ الليل ليل، والنهار نهار، فلتخل أيها السالك بكتاب ربك في ظلمة الليل، ولتقرأ ما تحفظه، ولتتوّر القرآن، لتكن من الأمة القائمة التي تتلو كتاب ربها آناء الليل، فتسجد لمن هذا الكلام كلامه، فتقترب!**

وثاني الطرق للتصالح: فهم القرآن، إنَّ الإنسان لن يلتذ بكلام لا يفهم معانيه، ولذا حث الله تعالى على تفهم القرآن، وإدراك حقائقه، ولا شك أن القلوب الحية تجري في مضمار المعاني القرآنية .. والقلوب المكبلّة بالخطايا ما زالت تزحف في الخطوط الأولى!

ولكن .. لا تيأس.

مهما استمعتَ إلى القرآن أو قرأته فأنتَ آخذ في الاهتداء بتنقية المحل، وتبديد ظلمته واستبدال النور به، وتخليته من الران الذي أكسبته إياه بنفسك!

حتى إذا نَفِيتَ المحل وطَهَّرْتَه؛ كان الاهتداء بالقرآن بزيادة نور القلب، فيحصل التلذذ التام بحصول النور التام، ويحصل الاهتداء التام بعد زوال أثر المعصية زوالاً تاماً لكنَّ أكثر الناس لا يعي أنَّه بحاجة إلى مجاهدة طويلة وصبر حتى يزول أثر الغفلة والذنب من قلبه، ثم يستمتع بالقرآن والصلاة!

والفقيه حقاً من يعي ذلك، ثم يجاهد نفسه لإصلاح المحل، وتنقيته، مهما طال به الزمان.

فاحرص أن تفقه القرآن، ولو عبر كتاب مختصر من كتب التفسير، لتكون من أولي الألباب.

*** ومن طرق التصالح م إنَّ ع القرآن أن تعقد مع من تحب مجالس المدارس، تلك المجالس التي يجلس فيها المتدارسون لينهلوا من فيض النور الذي يتلى في المكان، » ... وما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ... «.**

وفي هذه المجالس تظهر حقائق القرآن، ومن لم يكابد حقائق القرآن لهيباً يحرق باطن الإثم من نفسه، فلا حظَّ له من نوره!

إنَّ أهم فصل في تعريف القرآن المجيد هو أنه: (كلام الله رب العالمين!).

وما كان لكلام الحي الذي لا يموت أن يبلى أو يموت! ولكن الذي يموت هو شعورنا نحن! والذي يبلى هو إيماننا نحن!

أما الوحي فهو عين الحياة!

وحقيقة (الوحي) هي أول صفة يجب أن نتلقى بها القرآن الكريم، وهي أهم جوهر يجب أن ننظر من خلاله إلى كلماته؛ بما هي كلمات الله رب العالمين!

ذلك أن كلام الله لا يتنزل على الرسل إلا وحيًا ..

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وهذا شيء مهم جداً! فكون القرآن (وَحْيًا) هو المعراج الرئيس الذي به يرتقي القارئ له إلى سماء القرآنية!

إنَّ كون القرآن (وَحْيًا) ليس معنى تاريخياً فحسب؛ بل هو معنى مصاحب لطبيعته أبداً! بمعنى أن صلة القرآن بالسماء هي صلة أبدية .. !

المشكلة هي أننا عندما نقرأ القرآن نربط الوحي فيه بذلك الماضي الذي كان! بينما الوحي نور حاضر، وروح حي، يتدفق الآن في كل آيات القرآن، وينبع من تحت كل كلماته، شلالات من كوثر ثجاجٍ

لقد قبضَ رسولُ الله فانقطع الوحي التاريخي، أي انقطع فعل التنزيل الذي كان في الزمان والمكان، بواسطة الملاك جبريل □، ولكن بقي الوحي القرآني، أو الوحي/القرآن! والوحي هنا صفة اسمية من أسماء القرآن المجيد، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْزِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥] وقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

فالوحي - كما ترى - له دالتان: الوحي الحدّث، أي النزول الخفي من السماء، وهو سبب النبوة، وهو الذي انقطع.

والوحي الصفة، وهو لا ينقطع أبدًا، وعليه سمي هذا القرآن المجيد (وَحْيًا).

إنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ وَمَثَلَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، هُوَ كَثَلَاةٌ مُسَافِرِينَ تَاهُوا فِي الصَّحَرَاءِ بَلِيلٍ مُظْلَمٍ! صَحَارَى وَظِلْمَاتٍ لَا أَوَّلَ لَهَا وَلَا آخِرَ .. !

فبينما هم كذلك إذ شاهدوا في السماء نجمًا مُدَنَّبًا لَاهِبًا، لم يزل يخرق ظلمات الأفق بنوره العظيم، حتى ارتطم بالأرض!

فافترقوا ثلاثتهم إزاءه على ثلاثة مواقف:

فأما أحدهما: فلم يُعِرْ لتلك الظاهرة اهتمامًا، بل رآها مجرد حركة من حركات الطبيعة العشوائية!

وأما الآخران: فقد هرعا إلى موقع النَّيْزِكِ فالتقطا أحجاره المتناثرة هنا وهناك .. وكانا في تعاملهما مع تلك الأحجار الكريمة على مذهبين:

فأما أحدهما: فقد أُعْجِبَ بالحجر؛ لِمَا وجد فيه من جمال وألوان ذات بريق، وقال في نفسه:

لعله يستأنس به في وحشة هذه الطريق المظلمة، ثم دسه في جرابه وانتهى الأمر!

وأما الآخر: فقد انبهر كصديقه بجمال الحجر الغريب! وجعل يقلبه في يده، ويقول في نفسه: لا بد أن يكون هذا المعدن النفيس القادم من عالم الغيب يحمل سرًّا!

وجعلت حرارة معدنه تشتد شيئًا فشيئًا؛ حتى وجد ألم ذلك بين كفيه! بل جعلت الحرارة الشديدة تسري بكل أطراف جسمه، وجعل الألم يعتصر

نعم يا رفيقي في طريق النور! إنَّ مكابدة القرآن في زمان الفتن، والصبر على جمره اللاهب في ظلمات المحن؛ تلقياً، وتركياً، وتدارساً، وسيراً به إلى الله في خلوات

الليل؛ هو وحده الكفيل بإشعال مشكاته، واكتشاف أسرار وحيه، والارتواء من جداول روحه، والتطهر بشلال نوره .. النور المتدفق بالحياة على قلوب المحبين، فيضاً ربانياً نازلاً من هناك، من عند الرحمن، الملك الكريم الوهاب!

فتدبر يا صاح هذا المشهد القرآني الجليل! في بيان حقيقة تلقّي محمد ﷺ للوحي عن الملك العظيم جبريل □، حيث تلقّى عنه ما تلقّى من قرآن كريم، وحيّاً من الله رب العرش العظيم، وشاهد ما شاهد خلال ذلك من حقائق إيمانية، ومنازل روحانية، ضاربة في عمق الغيب الأعلى!

﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ *

[مقدمات أساسية في تاريخ القرآن العزيز]

[المقدمة الأولى: تعريف القرآن]

القرآن هو: «كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه».

وهناك فروق متعددة بين القرآن وغيره من الكتب، ومنها:

١ - أن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن بخلاف غيره من الكتب، قال تعالى في شأن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرُؤُنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، - ٢ - تيسير حفظه وتلاوته، بخلاف غيره من الكتب السابقة.

[المقدمة الثانية: القرآن الكريم في العهد المكي]

كان أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ خمس آيات من أول سورة العلق، ثم فتر الوحي، ونزلت أوائل سورة المدثر، وتتابع نزول القرآن على النبي ﷺ فيما عُرف بعدُ بالقرآن المكي، وهو ما نزل قبل الهجرة.

وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه القرآن في مكة، وكان بعضهم يكتب القرآن.

[المقدمة الثالثة: القرآن الكريم في العهد المدني]

لما نزل النبي ﷺ المدينة وأقام المسجد، كانت تلاوة القرآن من الأمور المشهورة المنتشرة، وهناك مظاهر كثيرة للاعتناء النبوي بإيصال القرآن إلى الصحابة

ومن كتاب الوحي: (عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان) □ .

وكان الصحابة يكتبون القرآن في الأدوات المتاحة لهم، كاللخاف، والرقاع، والأقتاب، والأكتاف.

وخلاصة القول أن تلك الفترة تميزت بالآتي:

- ١ - أن القرآن كتب في عهد النبي ﷺ.
- ٢ - أنه كان مفرقاً في عدد من الأدوات.
- ٣ - أن الحاجة لم تدع إلى جمعه في مصحف واحد، سيما مع وجود زيادة، ووقوع نسخ، ونحو ذلك.

[المقدمة الرابعة]: القرآن في عهد الصديق □

- روى البخاري قصة جمع القرآن في عهد الصديق □، والسبب الذي دعا إليه: أن القتل استحر بالقراء يوم اليمامة، وحُشي أن يذهب كثير من القرآن .
- فأشار عمر على أبي بكر □ بجمع القرآن، وعرض أبو بكر الفكرة على زيد الذي وافق عليها بعد تردد.
- وقد كان زيد شاباً، عاقلاً، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ، وهذه الصفات أهلتة للمهمة.
- فتنبع زيد القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وغيرها، وصدور الرجال، حتى تم الأمر على مرأى من الصحابة ومسمع على أدق وجوه البحث والتحري، وأسلم أصول التثبت العلمي.
- ولم يُستفد مما جمعه الصديق □ استفادة مباشرة في عهده، وعهد عمر □، إذ القصد من الجمع حفظ القرآن، والأصل في التلقي المشافهة والأخذ من صدور الرجال.

-

- ولم يلزم الصديق ولا الفاروق أحداً بما جمع، بل كان الصحابة يقرؤون كما أقرأهم النبي ﷺ، وهناك عدة آثار تدل على هذا الأصل.

[المقدمة الخامسة: القرآن في عهد عثمان □]

- حصل اختلاف ما حول القرآن في عصر عثمان □ في القرآن، ففرع حذيفة إلى عثمان فأخبره الخبر، ومما يظهر أن الاختلاف كان في المرسوم، وأن هؤلاء الذين دخلوا حديثاً في الإسلام انطلقوا من المرسوم لا من المحفوظ!

- فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر □ لترسل له مصحف أبي بكر لينسخه.

- والظاهر من النصوص أن مصحف عثمان كان موافقاً لمصحف أبي بكر في الترتيب وما إلى ذلك خلافاً لمن زعم غيره، ولذا فإن مصحف أبي بكر □ لم يحرق إذ لا مخالفة بينه وبين مصحف عثمان.

- وانتدب لذلك العمل، زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقيل: كان معهم غيرهم من الصحابة.

وطلب إليهم أن يثبتوا لسان قریش إذا اختلفوا في الرسم.

- وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

- ولا يعلم على اليقين عدد المصاحف التي نسخها عثمان □، وإن كان الأكثر ورأي الجمهور على كونها ستة

تنبيهات:

١ - عمل عثمان □ لا يتعلق بالمقروء، وإنما يتعلق بالمرسوم، فانتبه إلى هذه الفائدة، فإنها تحل لك مغاليق كثيرة!

٢ - القول بأن عثمان □ أخلى المصاحف من النقاط لتحتمل القراءات، قول غير صحيح، لأن النقاط لم يكن مشتهراً في الكتابة عند الصحابة والتابعين، فكيف يقال أنهم تركوه؟!؟

[المقدمة السادسة: مرحلة ما بعد جمع عثمان □]

- أرسل عثمان □ المصاحف إلى الأقطار.

- وبعد ذلك ظهر المختصون بالإقراء كالأئمة الذين أرسلهم عثمان، وكأبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وغيرهم ممن تنتهي إليهم أسانيد القراء (١).

- وبعد هذه المرحلة ظهرت مرحلة الاختيار في القراءات، فتسبيح السبعة مع الإمام أبي بكر بن مجاهد، أو جعلهم ثمانية، ف عشرة على تفصيل يعلم في مظانه

[المقدمة السابعة: في قواعد عامة]

- أي طعن يوجه للقرآن من جهة عربيته من طاعن متأخر عن أبي جهل، وأبي لهب وأضرابهم، فاعلم أنه باطل في ذاته؛ إذ لو كان صحيحاً لما غفل عنه هؤلاء الأعداء، وهم أبصر الناس باللغة، وأحرصهم على الطعن في القرآن.

- لم تسقط كلمة من القرآن، فالخلاف في (تجري من تحتها) و (تجري تحتها) لا يوجب القول بأن القرآن سقط منه شيء؛ لأن من قرأ (تجري تحتها) قرأ قرآنًا كاملاً، ومن قرأ (تجري من تحتها) قرأ قرآنًا كاملاً، فهو من اختلاف التنوع.

قبل البدء! تداوى .. طبَّ مجرب، وطبيبٌ خريت!

سئل شيخ الإسلام □ وأثابه الجنة:

ما دواء من تحكم فيه الداء، وما الاحتيال فيمن تسلَّط عليه الخبال، وما العمل فيمن غلب عليه الكسل، وما الطريق إلى التوفيق، وما الحيلة فيمن سطت عليه الحيرة؟

إن قصد التوجه إلى الله منعه هواه، وإن رام الإدِّكار غلب عليه

فأجاب:

دواؤه الالتجاء إلى الله تعالى، ودوام التضرع إلى الله سبحانه، والدعاء بأن يتعلم الأدعية المأثورة، ويتوخَّى الدعاء في مظانِّ الإجابة؛ مثل آخر الليل، وأوقات الأذان والإقامة، وفي سجوده، وفي أدبار الصلوات.

ويضمُّ إلى ذلك الاستغفار؛ فإنَّه من استغفر الله ثم تاب إليه متَّعهُ متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى.

وليتخذ وردًا من الأذكار طرفي النهار ووقت النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه، ويكتب الإيمان في قلبه.

وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس بباطنه وظاهره، فإنَّها عمود الدين.

ولتكن هجيره: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، فإنَّه بها يحمل الأثقال، ويكابد الأهوال، وينال رفيع الأحوال.

ولا يسأم من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي.

«فإذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله

تعاهدوا القرآن :

جاء الحث من الله تعالى لنبيه ﷺ على الاستمساك بالكتاب، وهو مستلزم للتعاهد، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وجعله الله تعالى شارة المصلحين، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وحضَّ النبي ﷺ على الاستمساك بالكتاب، تلاوةً، ومدارسةً، وجاء هذا الحض في صور متعددة منها صورة الحث بلفظ التعاهد

وصاحبُ القرآن: أي الذي ألفه، والمؤلفة المصاحبة وهو كقوله: أصحاب الجنة.

والقرآن كتاب عزيز له أسرار لا تظهر إلا بطول المصاحبة، فكلما ازدادت صحبة المرء مع القرآن = ازداد معرفة بأسرارهِ، وآياته وبياناتهِ.

ومن حثه ﷺ على التعاهد مرغباً فيه؛ بيان منزلة صاحب القرآن في الآخرة كما جاء عن عبد الله بن عمرو □، عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها» (٢)

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثال لإيضاح المقاصد، دافعاً إلى المداومة على قراءة القرآن، ومن ذلك ما جاء عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر»

وقد كان النبي ﷺ يتعاهد القرآن العظيم، بعدد من أنواع التعاهد، ومن ذلك:

• معارضة الملك!

والعرضة من العرض، والمقصود بها: مدارس جبريل □ القرآن مع النبي ﷺ

قراءة الحزب:

(الحاء والزاء والباء) أصل واحد وهو تجميع الشيء، فمن ذلك الحزب الجماعة من الناس، والطائفة من كل شيء حزب، يقال: قرأ حزبه من القرآن، والحزب: الورد، وورد الرجل من القرآن والصلاة حزبه، والحزب: «ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة كالورد»

والأصل في التحزيب ما ثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص

قال ابن تيمية: «فالسَّحَابَةُ إنما كانوا يحزبونه سورًا تامة، لا يحزَّبون السورة الواحدة».

• قراءة الصلاة:

ومن المواضع التي كان النبي ﷺ يتعاهد فيها القرآن الكريم الصلاة المفروضة سواء كانت سرية أو جهرية وكذلك النوافل

القيام بالكتاب:

قد أشار الله □ إلى أفضل طرق المعاهدة، والتي ينبغي لحافظ القرآن الاعتناء بها، وهي قيام الليل بالمحفوظ من القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وإنَّ الليل مظنة الحضور والفهم وصفاء النفس وتفريغ القلب من العلائق والشواغل

التعاهد العام حضرًا وسفرًا:

ومن تعاهد النبي ﷺ للقرآن الكريم قراءته على الدابة،

«ما يمنع أحدكم إذا رجع من سوقه، أو من حاجته إلى أهله أن يقرأ القرآن فيكون له بكل حرفٍ عشر حسنات» ابن عباس

قال ابن تيمية: «جِهَادُ النَّفْسِ أعمال تعملها النفس المزكاة فتزكو بذلك أيضًا»

إنَّ القرآن مشروع العمر، وبرنامج العبد في السير إلى الله إلى أن يلقي الله، وليس المقصود أن تدرك الهدف كله، لكن يكفيك أن تموت وأنت على الطريق!

[وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ!]

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٢)﴾ [النمل: ٩١ - ٩٢].

وهذه التلاوة هي الوظيفة التي جاء بها صلوات الله وسلامه عليه، تلاوة الكتاب، وتلاوة الكتاب فقط، وتلاوة الكتاب فحسب.

تلك التلاوة التي تبعث في قلبك النور، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

تلك التلاوة التي تمدك بالحياة، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

تلك التلاوة التي تغمرك بالجمال، والذي نفسه بغير جمال .. لا يرى في الوجود شيئًا جميلًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩)﴾

[تلاوة الكتاب طريق إلى التجارة الرابعة.]

والتالون للكتاب تلاوة حقيقية هم الذين يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيها، فيتركونها، وفي أخبارها، فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضًا ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها.

«فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامة، وهي تلاوة اللفظ والمعنى؛ فتلاوة اللفظ جزء مسمى التلاوة المطلقة، وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع، يقال: اتل أثر فلان، وتلوت أثره، وقفوتُه وقصصتُه، بمعنى تبعته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس ١: ٢]، أي: تبعها في طلوع بعد غيبتها، ويُقال: جاء القوم يتلو بعضهم بعضًا، أي: يتبع، ويُسمى تالي الكلام تاليًا، لأنه يُتبع بعض الحروف بعضًا، لا يُخرجها جملة واحدة، بل يُتبع بعضها بعضًا مرتبة، كلُّما انقضى حرفٌ أو كلمة أتبعه بحرفٍ آخر وكلمةٍ أخرى، وهذه التلاوة وسيلةٌ وطريقٌ.

والمقصودُ التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى واتباعه؛ تصديقًا بخبره وائتمارًا بأمره، وانتهاءً عن نهيه، وائتمامًا به، حيثما قادك انقادت معه، فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه، وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة، فإنهم أهلُ تلاوةٍ ومتابعةٍ حقًا» (١).

والتلاوة التي ننشدها هي التلاوة بمنهج التلقي، يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى
الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

تلك التلاوة التي تبعث في قلبك النور، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

ولا يزال القرآن معروضًا لمن يتلقاه، وليس لمن يتلوه فقط!

ونلقي القرآن بمعنى: استقبال القلب للوحي، على سبيل الذِّكْرِ.

وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي، فذلك المنهج هو الذي به تنبعث حياة
القلوب، لأنها تتلقى آنذ القرآن (روحًا) من لدن الرحمن، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ
مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

و (تَلْقَى القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذِّكْرِ؛ إنما يكون بحيث
يتعامل معه العبد بصورة شهودية، أي كأنما هو يشهد تنزله الآن غصًا طريًا! فيتدبره
آيةً، آيةً، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حيا في
عصره وزمانه!

أن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك! فتبصر حقائق الآيات وهي
تنزل على قلبك روحًا. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التخلُّق بالقرآن، على نحو
ما هو مذكور في وصف رسول الله، من حديث أم المؤمنين عائشة ؓ، لما سئلت عن
خلقه؛ فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ!»

إنَّ القرآن لا يشتغل حقيقة؛ إلا إذا تحرك به قلب العبد المؤمن! نعم! واشتعل له
وجدانه! وتهيا كيانه كله للاشتعال! فالمعاناة الإيمانية النابعة من صدق الإقبال على
الله، وشدة الافتقار إليه تعالى؛ هي وحدها الكفيلة بتهيئة النفس وتصفيتها؛ حتى
تصلح مرآتها لتعكس أنوار حقائق الإيمان، الكامنة في القرآن، وتستدر أسرار
العرفان المكتنزة فيه!

فلا هتداء بالقرآن ليس هو حصول النور فقط، بل تبديد الظلام أيضًا، وهي هداية أسبق
وأهم، وأطول وأجهد.

ولأجل ما فيها من عسرة؛ فإن كثيرًا من النَّاس لا يصبر عليها، ربما لأجل السَّأم، أو
الانصياع لداعي الهوى، أو الشهوة، أو غير ذلك.

لكن أكثر النَّاس لا يعي أنَّه بحاجة إلى مجاهدة طويلة وصبر حتى يزيل أثر الغفلة
والذنوب من قلبه، ثم يستمتع بالقرآن والصلاة!

والفقيه حقًا من يعي ذلك، ثم يجاهد نفسه لإصلاح المحل، وتنقيته، مهما طال به الزمان.

- قال الإمام الكبير محمد بن المنكدر: «كابدتُ نفسي أربعين سنة، حتى استقامت»!
 - وقال الرباني ثابت البناني: «كابدتُ الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة»!
- ونحو ذلك عن الفقهاء حقًا كثير.

إذا أردت الانتفاع بالقرآن حقًا؛ فعليك أن تعمل على جهتين:

١ - امنع الأذى عن قلبك، وإنما يدخل الأذى إلى القلب رأسًا بلا واسطة من العين والأذن، وشرحه يطول، ودليله في القرآن، فلا تستمع ولا تنظر إلى الكذب ولا الزور، وما أكثر ذلك.

ثم لا تأكل السحت وأقلل من فضول الكلام، بل؛ امنعه!

٢ - عرّض قلبك لهدى الوحي أطول فترة ممكنة، ولا تسأم، ولا تعجل، ولا تقل: هلك!

من أراد العلم .. فليثور القرآن :

مصطلح (تثوير القرآن) من المصطلحات التي أطلقها الإمام الحبر صاحب النبي ﷺ = عبد الله بن مسعود، وذلك فيما رواه غير واحد عن عبد الله بإسناد صحيح، قال: «إذا أردتم العلم فاثثروا القرآن، فإنّ فيه علم الأولين والآخرين»

وقد اختلفت عبارات أهل العلم في بيان هذا المصطلح، وإن اتفقت معانيهم، فقال ابن عطية: «وتثوير القرآن: مناقشته ومدارسته والبحث فيه، وهو ما يعرف به»

ومصطلح (تثوير القرآن) يعبر عن ضرب من ضروب تلقي الكتاب، وتلاوته حق التلاوة.

إنّ تثوير القرآن ضربٌ من ضروب التدبر لكتاب الله الكريم، وينطلق من التالي:

- ١ - معرفة معنى الآية (وذلك على سبيل الإجمال، فأول ما ينبغي أن يفعله السالك أن يفهم معنى الآية على سبيل الإجمال)
- ٢ - إثارة الأسئلة على النفس (وهي من أهم مراحل التثوير)
- ٣ - مفاتشة العلماء، ومناقشتهم في معنى الآية.
- ٤ - التأمل العميق، الذي يتلوه العمل.

فإذا قرأ القارئ فاتحة الكتاب بتدبرٍ يُثَوِّرُ به النصَّ القرآنيَّ = فإنَّ من الممكن أن تتورَّ في نفسه الأسئلة التالية:

- ما فائدة افتتاح أول كتاب الله □ بالحمدِ المطلق لله في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]؟!
- وما الآيات التي ورد فيها الحمدُ؟!
- وما مساقاتُ الحمدِ؟!

وهذا التأمل يتلوه العمل، ومما يعين في هذه المرحلة: أن يعتني بعلوم السورة، وعلوم الآية، ومن العلوم المتعلقة بالسورة:

- ١ - اسم السورة، أو أسماؤها إن كان لها أكثر من اسم.
- ٢ - مكان نزول السورة، وزمان نزولها (المكي والمدني).
- ٣ - عدد آي السورة، وعدد كلماتها وحروفها.
- ٤ - فضائلها، إن كان لها فضائل ثابتة.
- ٥ - مناسبة السورة لما قبلها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها، ومناسبات موضوعاتها بعضها مع بعض.
- ٦ - موضوعات السورة.

وأختم هذا الكلام بذكر الحديث عن رجل بلغ من علمه بالقرآن أنه ظل يفسر سورة نوح سنة!، ومع ذلك يقول في آخر حياته، وهو في السجن بعد أن انفرد مع القرآن: «قد فتح الله عليّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن»، ألا رحم الله أبا العباس ابن تيمية!

أن تجعل القرآن ربيع قلبي :

عن ابن مسعود □ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط إذا أصابه همٌّ أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك = أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهب همي؛ إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحًا

كما أنَّ الربيع زمان إظهار آثار رحمة الله تعالى، وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك القرآن يظهر منه تباشير لطف الله من الإيمان والمعارف، وتزول به ظلمات الكفر والجهالة والهموم»

إنَّ المرءَ ليشْتَاقَ إلى قارئ هادئ القراءة إذا سمعته حسبت أنه يخشى الله!

إنَّ الصوت المرتفع قد يجلب مزيدًا من البكاء، لكنه يبعد كثيرًا من السكينة! ﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]

[مجالس النور]

مجالس القرآن هي مجالس النور، والقرآن قد جاء من عند الله، والذي جاء به روح مطهرة، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل.

والذي يصطفيه الله تعالى لمجالس القرآن مصطفى، «لأن القرآن لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، ولا يحمله بحقه إلا المؤمن، ولا ينال معانيه ويفهمه كما ينبغي، إلا القلوب الطاهرة، وإنَّ القلوب النجسة ممنوعة من فهمه، مصروفة عنه» (١).

ومشروع (مجالس القرآن) - كما يقول الأنصاري -: «مسلكٌ تربوي مبسَّط؛ لسلوك طريق النور؛ قصد التعرف إلى الله! مشروعٌ ليس لنا فيه من الاجتهاد إلا الجمع والترتيب، ومراعاة التنزيل في واقع جديد! نأخذه كما هو من القرآن والسنة النبوية.

مشروعٌ لا مِنَّةَ فيه لأحد، إلا لله! ولا فضل فيه لمبدع أو مخترع، وإنما هو كلام الله! ولا انتماء فيه لقائد أو رائد، ولا لتنظيم أو جماعة! بل هو انتساب تعبدى لله! غايته أن نسعى جميعاً - أنا وأنت، ومن شرح الله صدره للقرآن - للاستقلال بحقيقة مُسمَّى: (عبد الله)!

(مجالس القرآن) عَرَضُ متجدد لموائد الروح! فهذا القرآن العظيم أمامك الآن! هذا كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! هذا نور الوحي، وطريق الهدى! فاقْرَأْ وافْقَهُ عن الله! فهذه السور والآيات تخاطبك أنت بالذات! أنت، نَعَمْ أنت! إنها - إن أَنْصَتَ بصدق - تخاطبك الآن في زمانك هذا، وفي ظروفك هذه! ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]! استمع إن كنت من المؤمنين بالله حقاً، الراغبين في التلقي عنه تعالى صِدْقاً

وقد وضع الأنصاري عدة ضوابط لإنجاح مجالس القرآن، وتلخيصها كالتالي:

١ - تجريد القصد لله! حتى يكون مجلساً تحضره الملائكة بإذن الله؛ وتتنزل عليه السكينة، وتغشاه الرحمة، ويذكره الله فيمن عنده! واعلم أن القرآن الكريم لا يفتح بصائره إلا للمقبلين عليه بإخلاص! فلا بد من تجديد النية كلما هممت بالخروج إلى مكان المجلس، فهو مجلسٌ تَعَبُدُ وليس مجلسٌ تَعُودُ

- تَحْيُيْ أوقات الانشراح النفسي للقرآن، والإقبال الوجداني على الذِّكْرِ، ومَظَانَّ اليقظة الإيمانية.

٣ - مراعاة أدب المجلس، وذلك بالاعتدال في هيئة الجلوس بما يحفظ للعلم وقاره، وللقرآن جلاله.

٤ - عدم عقد أكثر من لقاء واحد، أو لقاءين اثنين على الأكثر في الأسبوع الواحد، من لقاءات مجالس القرآن؛ بناء على منهج التَّخَوُّلِ في الموعظة، أي جعل تزود القلب من الإيمان على فترات منتظمة وغير متتابعة؛ حتى لا يَكَلَّ ولا يَمَلَّ

٥ - احترام قواعد تدارس القرآن العظيم من الترتيل بمنهج التلقي، والتعلم والتعليم بمنهج التدارس، والتزكية بمنهج التدبر

٦ - مبادرة أحد الجلساء من أهل العلم أو أهل الحلم؛ لتسيير المجلس

٧ - أن يعمد إلى إشراك الجميع في عملية التدارس والتدبر، فالتدارس مشاركة كما تدل عليه صيغة (التفاعل) من عبارته

٩ - الإعراض عن اللغو من القول والابتعاد عنه مطلقاً، والتنزه عن سقاسيف الكلام، فلا ينبغي أن يخالط مجلس التدارس إلا ما كان من قبيل العلم، والذكر، والتدبر، والتفكر، والاعتبار

١١ - أن يُعْتَمَدَ تفسيرٌ مختَصَرٌ من ذلك كله، مما تلقته الأمة بالقبول وأجمع على صحته السلف والخلف

والآية التي هي الشعار الجامع لذلك كله من كتاب الله جل ثناؤه، هي ما سبقت الإشارة إليه من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِسُّونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]. تَمْسِيْكُ بِالْكِتَابِ أولاً: وهو الأخذ بحقائقه الإيمانية بقوة، وإقامة للصلاة ثانياً: وهو إحسان أدائها والسير إلى الله عبر مواقيتها، ثم انطلاق إلى الإصلاح والدعوة إلى الخير.

والقرآن حجة لك أو عليك !

هل أتاكَ نبأ تلك الرؤيا التي رآها النبي ﷺ، وقصها على أصحابه؟!!

تلك الرؤيا فيها خبر مرعبٌ حقاً، فقد حكى النبي ﷺ أن صاحبيه قالاً له انطلق، قال: «فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر - أو صخرة - فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه، فضربه، قلت: من هذا؟ قالوا: ... والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة» .

لهذه الدرجة، أنعم الله عليه .. آتاه القرآن، لكنّه ترك كل ذلك، ونام عنه، ولم يعمل به، فكان هذا جزائه، فاللهم سلم .. سلم.

فالقرآن حجة لك في الدنيا والآخرة

والقرآن حجة لعبد عرفه، وشهادة له بخروجه من العمى للإبصار، ﴿أَقَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

وحجة على عبد أعرض عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه: ٩٩ - ١٠٠].

والقرآن حجة لك وشاهد بالخيرية إن تعلمته وعلمته، فعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان □، عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: (وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا)

إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً :

فهم المصطلحات التي يتداولها الناس من الأمور المستحسنة، والتفريق بينها، وبيان حدودها = معين على عدم الوقوع في الخطأ.

ومن هذا المنطلق سأحاول أن أعرض للفرق بين ثلاثة مصطلحات يقع بسبب الخلط بينها تجرؤ على كتاب الله، ونوع من القول على الله بلا علم، وهي: (التفسير - التدبر - التأثر).

فأقول:

* التفسير، هو: «بيان معاني القرآن العظيم» (١).

* وهذا البيان إما أن يصل إليه المفسر اجتهاداً، وإما أن يصل إليه تقليداً.

والاجتهاد على قسمين:

١ - الاجتهاد في بيان المعنى المراد من الآية، وأئمة المجتهدين هم الحجة (٢) من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

٢ - أن يجتهد في التخير من أقوال المجتهدين السابقين، أو بناء الأقوال على أقوالهم، وهم على طبقات شتى، ومن أجلهم الإمام ابن جرير، وابن عطية، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وكثير غيرهم

فخلاصة الأمر: أن التفسير علم عظيم، خطير، جليل، وهو من أعوص علوم الشريعة، لا كما يُظن، ومتعلقه كلام الله تعالى، وهو شرح له وبيان عن معانيه وأحكامه، قدر الطاقة البشرية.

ومن ثم فإن مسؤوليته عظيمة، والكلام فيه بغير علم كاف وتحقيق تام = من الافتراء على الله، والقول عليه بغير علم، ولذا كان كثير من السلف، أصحاب الفهوم الصحيحة، والألسن الفصيحة، يتورعون عن الكلام فيه بحرف، ويقولون الله أعلم بما قال، وما عندهم من العلم في القرآن أعظم مما عند أكبر كابر في الخلف، والآثار عن شيخي الإسلام ووالدي المسلمين أبي بكر وعمر في الكلام في القرآن بالرأي محفوظة مشهورة

وكثير من الناس يظن أن التفسير مجرد (تأليف)، ولربما سماه تأملًا، أو خواطر، وغير ذلك، ولا يغني هذا عن التبعة المذكورة .

*** أما التدبر فأقرب ما يمكن أن يقال في تعريفه، «تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والامتثال» .**

أو «الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، والتفاعل معها؛ للانتفاع والامتثال» .

- وهذا التدبر لا بد أن يسبقه فهم للمعنى المراد من الآية، إذ محل التدبر مدلولات الآيات

وعليه، فيمكن التفريق بين التدبر والتفسير من عدة وجوه:

١ - أن التفسير هو كشف المعنى المراد في الآيات، والتدبر هو ما وراء ذلك من إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها، واعتقاد ما دلت عليه وامتثاله.

٢ - أن التدبر أمر به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به، ولذلك خوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، والناس فيه درجات بحسب رسوخ العلم والإيمان وقوة التفاعل والتأثر.

٣ - أن التدبر لا يحتاج إلى شروط إلا فهم المعنى العام مع حسن القصد وصدق الطلب، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، أما التفسير فله شروط ذكرها العلماء، لأنه من القول على الله، ولذا تورع عنه بعض السلف

ومما ينبغي أن يُعلم أن الناس على درجات متفاوتة في التدبر بحسب آلاتهم وإمكاناتهم، فليس تدبر العالم المتبحر في الشريعة كتدبر العامي، ولكل درجات، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم

*** أما التأثر فهو ضرب من ضروب التدبر، وهو ما يسميه بعض العلماء (التدبر الوجداني) (٣)، وهذا التأثر يختلف عن التدبر بالمعنى المتقدم بأنه قد لا يحتاج إلى تأمل عقلي أو إلى معرفة بالدلالات العميقة للآيات.**

ولا بد من التنبيه على أن بعض المشركين، وبعض الأعاجم يقع عنده من التأثر بالقرآن مع عدم معرفة المعنى، إذ للقرآن سطوة على النفوس!

وإنما نبهت على ذلك لأنه قد يخلطُ بعضُ النَّاسِ بين التَّدْبُرِ والتَّأَثُّرِ من سماع القرآن، فيجعلونَ القشعريرةَ التي تصيب الإنسان والخشوعَ الذي يلحُّهُ بسبب تأثير القرآن عليه هو التَّدْبُرُ، وليس الأمرُ كذلك.

فالتَّدْبُرُ عمليةٌ عقليةٌ تحدثُ في الذِّهْنِ، والتَّأَثُّرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ، وقد يكونُ بسببِ التَّدْبُرِ، وقد يكونُ بسببِ روعةِ القرآنِ ونظمه

يا ليتني أعطيتُ القرآنَ عمري

عبر الأئمة الأعلام عن أسفهم على تضييع أوقاتهم في غير معاني القرآن، قال الثوري: «ليتني كنت اقتصرْتُ على القرآن» .

وقال ابن تيمية، وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير، والتوسع فيه، ولعله يبقى في تفسير الآية المجلس والمجلسين، وقد بقي يفسر (سورة نوح) عدة سنين، قال في سجنه الأخير: «قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن في هذه المدة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن

فينبغي على العاقل أن يبدأ رحلته مع القرآن، وأن يترقى في معايشة القرآن والانتفاع بنوره وهديه.

وكتقريب للأمر، فإن تحصيل صحبة القرآن الواردة في قول النبي ﷺ: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»، وقوله: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه» = لها شرطان:

الأول: شرط علمي.

الثاني: شرط عملي.

فتلاوة القرآن، والإنذار به انفعال، وهذا الانفعال لا بد أن يسبق بالامتلاء من الوحي!

والسبيل إلى الامتلاء الذي يسبق الانفعال، يمكننا إجماله في معالم ثلاثة:

المَعْلَمُ الأوَّل: المحبة.

لقد كان النبي يحب نزول الوحي عليه، عن ابن عباس □، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، قال: فنزلت: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾

المَعْلَمُ الثاني: التعاهد.

ويشتمل على أمور:

[١ - التلاوة.] أشار الله ﷻ إلى أفضل طرق المعاودة، والتي ينبغي لحافظ القرآن الاعتناء بها، وهي قيام الليل بالمحفوظ من القرآن،

[٢ - الاستماع.] عن عبد الله، قال: «قال لي رسول الله ﷺ: (اقرأ علي القرآن) قال: فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك؟ وعليك أنزل؟ قال: (إني أشتي أن أسمع من غيري)، فقرأتُ النساء حتى إذا بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [سورة: النساء، آية رقم: ٤١] رفعتُ رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعتُ رأسي فرأيت دموعه تسيل»

[٣ - التدارس.] عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»

[المعلم الثالث: التأول.]

عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي) يتأول القرآن»

لو ظهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله !

كانت للسلف رضوان الله عليهم عناية بالغة بكتاب الله تعالى من جوانب شتى، وهذه العناية أثر من آثار تمسكهم بهدي النبي صلى الله عليهم وسلم، وقد برز تعاهدهم للقرآن الكريم في عدة جوانب، ومنها :

محبتهم للقرآن، وإقبالهم عليه:

- إنَّ من يعرف نعمة الله ﷻ عليه بالقرآن يتلوه ويتدبره ويعمل به، ويقدرها حق قدرها ولا يزال موصولاً مرتبطاً بها، يسأل ربه جل وعلا ألا يحرمه إياها وألا يمنعه بركتها وخيرها، بل يتحسر عند انقطاعها ويحزن على ذلك، وذلك دليل صدق المحبة والرغبة، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس، قال: قال أبو بكر ﷺ، بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: «انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ؟ فقالت: ما أبكي أن

لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء. فجعلنا يبكيان معها

* عنايتهم بالقرآن:

كان السلف يعتنون بالقرآن تلاوةً، وحفظاً، وتدبراً، ومن ذلك:

- فعن نافع أن عبد الله بن عمر □: «كان إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه»

- وقال يحيى بن معاذ الرازي: «أشتهي من الدنيا شيئين: بيتاً خالياً، ومصحفاً جيد الخط أقرأ فيه القرآن

* وكانوا يجتهدون في تلاوة القرآن:

- فقد كان الحسن بن أبي الحسن البصري يقول: «تفقدوا الحلاوة في ثلاث: الصلاة، والقرآن، والدعاء، فإن وجدتموها فاحفظوا واحمدوا الله على

ذلك، وإن لم تجدوها فاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة»

* عنايتهم بالقرآن:

كان السلف يعتنون بالقرآن تلاوةً، وحفظاً، وتدبراً، ومن ذلك:

- فعن نافع أن عبد الله بن عمر □: «كان إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه»

- وقال يحيى بن معاذ الرازي: «أشتهي من الدنيا شيئين: بيتاً خالياً، ومصحفاً جيد الخط أقرأ فيه القرآن

وقد كانوا يخافون ويحزنون إذا ضاع حزبهم من القرآن:

- قال أبو داود الجفري: «دخلت على كرز بن وبرة بيته فإذا هو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: إنَّ بابي مغلق، وإنَّ ستري لمسبل، ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة، وما هو إلا من ذنب أحدثته»

* وأما عنايتهم بحفظ القرآن؛ فكثير، منه:

- ما ثبت عن عبد الله بن مسعود: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة»

- وقال قتادة لسعيد بن المسيب: «خذ المصحف فأمسك علي» قال: فقرأ سورة البقرة فما أسقط منها واواً ولا ألفاً ولا حرفاً فقال: يا أبا النضر أحكمت

قال: «نعم»، قال: «لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة، وإنما قَدِمْتُ عليه مرةً واحدة

* ومن وجوه عنايتهم بالقرآن، قيامهم الليل بالقرآن:

- يقول علي بن أبي طالب □: «لقد رأيت أثرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فما أرى أحدًا يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثًا غبرًا صفرًا، بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكأنَّ القوم باتوا غافلين

* وكان إذا فاتهم الحزب فضوه:

- يقول عبد الرحمن بن عبد القاري: استأذنت على عمر بالهجرة، فحبسني طويلًا، ثم أذن لي، وقال: «إني كنت في قضاء وردي»

- وعن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، قال: دخلت على عبد الله بن عمرو وهو يقرأ في المصحف، فقلت له، فقال: «هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة

* وكانوا يعتنون بترتيل القرآن، وتحسين الصوت به:

- قال سعيد بن عبد العزيز: حدثني أبو يوسف حاجب معاوية: أنَّ أبا موسى الأشعري قدم على معاوية، فنزل في بعض الدور بدمشق، فخرج معاوية من الليل ليستمع قراءته؛ وقال أبو عثمان النهدي: «ما سمعت زمارًا ولا طنبورًا ولا صنجًا أحسن من صوت أبي موسى الأشعري؛ إن كان ليصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته». وفي رواية: «كان أبو موسى يصلي بنا، فلو قلت: إني لم أسمع صوت صنج قط، ولا صوت بربط قط، ولا شيئًا قط أحسن من صوته». وقال العجلي: «ولم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتًا منه

وكانوا يعتنون بتعلم القرآن وتعليمه:

- عن عثمان □، عن النبي ﷺ قال: «خيرُكم من تعلَّم القرآنَ وعلمه

ومن صور اعتنائهم بالقرآن، إكرام حملته، وتوقيرهم، والقيام بحقهم:

- قال الحسن بن فهم: «ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن لأصحاب الحديث»

- وقال مجاهد: «كان لعبد الرحمن بن أبي ليلي بيت يجتمع فيه القراء فيه مصاحف، فقلما تفرقوا إلا عن طعام»

* وكانوا يعتنون بفهم القرآن، وتعلمه، ويحثون عليه، ويجدون في ذلك:

- وقد قال ابن عباس، في قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] «يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»

[ومن ثناء الناس على علماء التفسير من الصحابة، وتقديرهم لعلمهم]

- يقول طلحة بن عبيد الله: «لقد أعطي ابن عباس فهماً وعلماً، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه أحداً»، وقال عبد الله بن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»

وهذه متفرقات من أحوالهم، وكلامهم عن القرآن العظيم

وعن ثابت البناني، قال: «ذكر أنس بن مالك سبعين رجلاً من الأنصار، كانوا إذا جنهم الليل آووا إلى معلم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن، فإذا أصبحوا فمن كانت عنده قوة أصاب من الحطب واستعذب من الماء، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها، فكانت تصبح معلقة بحجر رسول الله ﷺ»

- وعن أبي البخترى، قال: «قالوا لعلي: حدثنا عن أصحاب محمد رسول الله ﷺ، قال: عن أبيهم؟ قالوا: أخبرنا عن عبد الله بن مسعود، قال: «عَلِمَ القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علماً» وسئل علي بن أبي طالب عن ابن مسعود، فقال: «قرأ القرآن ثم وقف عنده، وكفى به»

أفياء

هذه بعض خواطر عرضت لي من بعض الآيات أغلبها من باب الملح واللطائف، والقرآن مورد يورده الخلق، كل ينال منه على مقدار ما قسم الله له، وهذه أمثلة لها:

سورة الفاتحة

قال الإمام الثعلبي : وإنما لم يقل : نعبدك؛ ليكون أفصح في العبارة وأحسن في الإشارة؛ لأنهم إذا قالوا : إِيَّاكَ نَعْبُدُ كان نظرهم منه إلى العبادة، لا من العبادة إليه الكشف والبيان عن تفسير القرآن .

(٢) لا تقعد ولا تتخلف، فإنَّ الركب لا زال في أوله، وإياك أن يزين الشيطان لك القعود، فإنه غير ناصح لك .
والله كريم يفرح بتوبة العبد، ويقبل العمل اليسير

سورة البقرة :

١- بعض ما يسميه الناس تدبرات وخواطر، إنما هي في الحقيقة "أمنيات"، أي: أنه يتمنى أن تكون الآية كما يتمنى هو لا ما هي عليه على الحقيقة !! وقد ذم الله أهل الكتاب على ذلك، قال: وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَايَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ.

٢- لا يحق للمرء أن يتعامل بالأخلاق الكريمة مع أبناء جماعته أو حزبه أو تياره فحسب، فإذا تعامل مع غير هؤلاء قلب لهم ظهر المجن فالأخلاق عطية من الله ؛ تتعامل بها مع كل أحد ! ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

- قلب الحقائق من أهم وسائل الطغاة للتشغيب على الحق! ألم تر إلى قول النمرود حين قال له

الخليل: رَتِيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فقال الطاغية: قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ .

سورة آل عمران

(1) وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ

[آل عمران : ٧٩]

هما خطوتان، إن لم تتحقق بالأولى، فإياك أن تتلبس بالثانية!

(٢) كل إنفاق في الباطل ذاهب لا قيمة له، فلينفقوا قدر وسعهم فإن الله دامع ما يعملون!

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ [العمران: ١١٧].

المعاصي من أعظم أبواب تسلط الشيطان على الإنسان، وتزيين المنكر له ، وإنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿ [العمران: ١٥٥].

وإذا أحدث الإنسان معصية ولم يحدث لها توبة؛ فإنه قد جعل للشيطان عليه سبيلا .

سورة النساء

«قال بعض المحققين في الفرق بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، قال :

حيث خاطب الناس كافة حثهم على اتقائه بروية الآله، لاشتراكهم كلهم في معرفتها وتصورهم إياها .

وحيث خاطب المؤمنين حثهم على اتقائه بلا واسطة»، تفسير الراغب

(٢) في قول الرب سبحانه: ﴿ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١] قاعدة عظيمة، وهي: أن الإنسان لا يدري من أين يأتيه النفع، فقد يأتيك ممن لم تظن أنه ينفعك!

والمقصود أن يجتهد الإنسان في نفع الناس، فلعلك تقدم معروفاً يبقى لك أجره في الدنيا والآخرة، وإن كثيراً من الأئمة صاروا أئمة بسبب نصيحة أو تشجيع أو ثناء صادق من أشخاص قد لا نعرف أسمائهم!

سورة المائدة :

(٢) كثرة الأتباع ليس لها ميزان في الشرع، فقد يأتي النبي وليس معه أحد، ومن قول الكليم، لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ! [المائدة : ٢٥].

والعوام كما يقال : عقولهم في عيونهم .

سورة الأنعام

(١) للقلب بصيرة هي نوره لا يصل إليها المرء إلا بالقرآن، وإلا فالعمى لازم له، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا

وبقدر الإقبال على الكتاب يكون الأخذ من نوره والتبصر ببصائره وكما أن العين لا تبصر إلا بنور قدامها، فكذلك القلب لا يبصر إلا بنور

(٢) من جوانب العظمة في الكتاب المبين، أن معاني القرآن حين تنزل على واقع تشاهده، ويتجدد أمامك .. تشعر كأن الآية تنزلت الآن، ولهذا الموقف بعينه .

سورة الأعراف

يتحمل الأقوام جزءًا من طغيان الطاغية، ويعمهم الهلاك معه! قال الله سبحانه: ﴿فَاسْتَحَفَّتْ قَوْمُهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ الْخَرْفِ: ٥٤﴾، وقال: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٧].

(١) من النادر أن تجد مفتوحًا عليه في العلم، متحققًا به، يرفل في ثوب وإن = فإن الله سينزعه عنه عاجلاً أو آجلاً.

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ! [الأعراف : ١٤٦].

(٢) كثير من المنتسبين إلى العلم يُبتلى بالكبر، كما يُبتلى كثير من أهل العبادة بالشرك .

ولهذا فإن آفة العلم؛ الكبر
وآفة العبادة ؛ الرياء .

سورة الأنفال

الاستزادة من الإيمان، والدعوة إلى العمل الصالح واجب كل وقت، وهي فرض على الأعيان

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا!

[الأنفال : ٤٥] .

سورة التوبة

(١) وعفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم

الكَذِبِينَ ﴿التوبة : ٤٣﴾ !

هذا عتاب من الجميل ، تعالى لعبد جميل ، بخطاب جميل .

فهل سمعتم بمعاقبة أحسن من هذه المعاقبة؟

هل رأيتم محبة كهذه المحبة؟

سورة يونس

(١) بعض التجديد الذي يُطرح نتيجة للغفلة عن لقاء الله!

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِفُرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَنَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِقَآئِمِهِ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿يونس : ١٥-١٧﴾ .

(٢) ضَمِنَ الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجوء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وزمة، وجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر .

كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسْتَرِكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحَ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم، مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه»،

(٣) في الصدور شهوات تتشوف .. وفيها شبهات تنبح .. وفي الصدور

حجب غليظة .. وفي الصدور طبقات مطمورة من الرين.

من السنن المهجورة في هذا الزمان؛ مجالس السماع القرآني، وقد كانت

هذه المجالس تنعقد على عهد الصحابة رضوان الله عليهم !

بل كان عمر بن الخطاب الله يحرص على تلك المجالس. وهي على ضربين :

أولا : ما يكون بمجرد تلاوة الكتاب والاستماع إليه !

ثانيا : ما يكون بصحبة التدارس للقرآن .

(٥) وقال مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا

تأمل كيف لم يكتف بالدعاء، وإنما أمرهم بالعمل المتمثل في :

- الاستقامة .

- عدم اتباع الذين لا يعلمون، وهؤلاء هم من قال فيهم : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴾ [الروم : ٧] .

سورة هود

(١) قاعدة عظيمة النفع، جليلة الأثر، كبيرة الفائدة :

قال الله جل شأنه عن نبيه ،هود قوله لقومه : إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ وَآخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ !! [هود: ٥٦].

(٢) للقرآن المجيد أثر عظيم في تثبيت القلب أيام المحن، وأوقات نزول البلايا والفتن

سورة يوسف

(١) وفي قوله سبحانه عن الكريم سليل الكرام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي

مِنَ السِّجْنِ ﴾ [يوسف: ١٠٠] ! تنبيه على خلق عظيم جدا.

فإنَّ يوسف لم يذكر خروجه من الجب = مع كونه أشد، وأعظم، إذ كان

غلاماً صغيراً وحيداً في جب مظلم متروك للأهوال والمخاوف لم يذكر الجب، وذكر السجن لئلا يؤدي مشاعر إخوته [وهم الذين رموه في الجب]، وقد عفا عنهم قبل قليل.

اللهم صل على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم!

(٢) لطيف ولو طال الأمد.

توالي المصائب قد تنسي المصاب اللطف المصاحب .

سورة الرعد

(1) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ ﴿ [الرعد: 4] ، وفي القلوب كذلك!

فعليك بما زكا، ودع عنك السبخ .

(٢) كل يأخذ من القرآن بحسب واديه (قلبه)، كما قال سبحانه: أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴿ [الرعد: ١٧].

وصلاح الإنسان بقدر أخذه من أمرين :

القرآن، تلاوة وفهماً وعملاً .

٢- الصلاة، إقامة، وإحساناً.

فاطلب تجداً!

سورة إبراهيم

(١) تذكير نفسك بأيام الله وهي نعمائوه وبلاؤه عليك كفيل بتربية نفسك على الصبر والشكر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ! [إبراهيم : ٥].

(٢) «قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي إبراهيم : ٣٦» ، فمفهوم هذا : أن من لم يتبعه ليس منه . وقال تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام : إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي [هود: ٤٥] فأجابه سبحانه: ﴿قَالَ يَنْوَحُ

إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وإن كان أجنبيًا ، كسلمان الفارسي له لقوله : (سلمان منا أهل البيت، ومعلوم أن سلمان من أهل فارس، ولكن بالمتابعة صار من أهل البيت .

فكما أن المتابعة تُثَبِّتُ الاتصال .. كذلك عدمها يُثَبِّتُ الانفصال.

سورة الحجر

بمقدار حفظك للكتاب تلاوة وتدبرًا يكون حفظ الله لك!

ألم تر أن الله يقول : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . وكما يقول الأنصاري: «الخادم للمحفوظ = محفوظ، فإن أنت حفظت المحفوظ = حُفِظْتَ».

سورة الإسراء

(١) مغبون من رضي بالدنيا وعمل لها ولن يأتيه منها إلا ما قسم له

(٢) إذا غرَّكَ التفاضل بين أهل الدنيا ، فتذكر تفاضل الناس يوم الدين، وانظر ثم انظر ثم انظر في تباين التفاضل بين أهل الدنيا لتستدل به على التفاضل هناك !

سورة الكهف

تأمل هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِنَائِتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧] ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِنَائِتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة : ٢٢] . هذا الإنسان دله الله على سبيل الخلاص ، وفكاك رقبتك من النار، فأعرض عنها، ونسي ذنوبه المهلكة فلم يتب ولم ينب، فهل تعلم أظلم منه ؟! أقبل على آيات الله ولا تكن من الظالمين وتب لربك قبل الموعد العظيم.

سورة مريم

وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا [مريم : 4] .

قال أبو جعفر : يقول : ولم أشق يا رب بدعائك، لأنك لم تخيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك»، جامع البيان: (١٥/٤٥٥) .

سورة طه

(١) وتأمل في سورة طه !

وانظر كيف أن موسى حين أحس بلذة القرب وروعة الأنس أطال الكلام وأطنب، قال
إجابة عن سؤال : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ؟﴾ [ظلة: ١٧] . قَالَ هِيَ عَصَاءُ أَتَوَكَّوْا
عَلَيْهَا وَاهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَشارِبُ أُخْرَى !!
وتأمل قول الرب له ،قبلها وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿ [ظلة : ١٣].

فبقدر استماعك لوحيه، يكون أنسك به !
ولن تأنس به إلا إن اختارك لهذا المقام.

سورة المؤمنون

(١) التدبر بالمشاهدات!

ومن التدبر للقرآن المجيد الربط بين المشاهدات اليومية، وبين آيات القرآن !
ومن أمثلة ذلك :

عن عبد الله، قرأ هذه الآية ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٤﴾ ، قال: ألم تر إلى
الرأس المشيط بالنار، وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه»

(٢) استحضر حين تتعب نداء الله لأهل النار نجانا الله منها - مذكراً لهم بحال أهل
الإيمان، إني جزيتهم اليوم بما صبروا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ ﴿ [المؤمنون: ١١١] . أوليك
يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا [الفرقان: ٧٥] .

(وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا)

ألا بالصبر تبلغ ما تريد.

سورة النور

(١) من تلاوة القرآن حق تلاوته : اتباع أساليب القرآن في بيانه عن الأحكام
الشرعية .

وبيان القرآن للأحكام الشرعية بيان ممتع أخاذ مهيب للقلب لاستقبال أحكام

الرب، ومن ذلك :

- مزج بيان الحكم بالوعظ والتذكير بالآخرة، وربط الأحكام بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى وما دلت عليه . - رعاية المقاصد الكلية، والمعاني التي لا ينبغي أن تفقد حال التطبيق.

سورة الفرقان

(١) القرآن مستودع الأسرار .

(٢) التلاوة المستمرة للقرآن تعطي القلب قوة وثباتاً، وكل آية تتلوها،

وتعرف معناها : زيادة في قوة قلبك، ونوره

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢].

وإذا كان النزول المفرق للقرآن قوة لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلا تبعاه أولى!

سورة الشعراء

ولم يذكر القلب السليم في القرآن إلا مع ذكر الخليل إبراهيم؛ ففي سورة الشعراء أخبر أنه لا ينفع يوم البعث مال ولا بنون ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩] .

وفي سورة الصافات، وصف الله قلب إبراهيم بالسلامة، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[الصافات: ٨٤] .

واحدا ! إلى من يريد قلبا سليماً، دونك قصة الخليل لتتلمس منها كيف تحصل إلى القرآن .

سورة النمل

رحمة المرء بأهله من تمام رجولته ، ألم تر إلى الكليم قال لأهله، وإن انست نارا سَانِيَكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيَكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿[النملة : ٧]!! .

سورة القصص

(١) لقد كان من دعاء الصالحين، أن ينجيهم الله تعالى من مظاهره المجرمين ومعاونتهم في شيء من أمورهم ألا ترى قول الكليم : رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿

(٢) لا تظاهر [تعاون وتناصر] المجرمين، وإن خفت

سورة العنكبوت

(١) من طرق التدبر للقرآن المجيد، الربط بين «أمثال القرآن» وصورها المعاصرة!

(٢) أسماء القرآن أعلام وأوصاف، وللكتاب عدة أوصاف ذكرها الله فيه!

وبقدر أخذك وقربك من كتاب الله الكريم = يكون أخذك من هذه الصفات

(٣) ستظل تدفع في الران الذي يعوق سيرك إلى الله، فأياك أن تنقطع عن إزالته!!

سورة الروم

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

أي: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أدكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة

سورة لقمان

يقول الإمام ابن عطية في قول الله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ [لقمان: ٢٧].

«وهذه الآية بحر نظر، نور الله تعالى قلوبنا بهداه»! [المحرر الوجيز

سورة السجدة

قاعدة: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» [السجدة: ٢٥].

تأمل: ﴿هو﴾!

[سورة فصلت]

(١) الأمن الحقيقي لا يكون إلا يوم القيامة، ولا يكون إلا لأهل الإيمان بحسب مراتبهم.

[سورة الأحزاب]

إذا لم يفتح الله عليك في نوع من الخير فلا تكن معوّفاً عنه، فإذا فتح الله لك باباً من العلم -مثلاً -، وفتح لغيرك في غير هذا الباب فلا تكن معوّفاً عنه، ألم تر أن الله ذم المعوقين عن الجهاد فقال: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا

سورة سبأ

الوحي هو طريق الاهتداء على الحقيقة!

ألا ترى أن الله حكى قول النبي ﷺ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

سورة فاطر

(١) إذا فتح الله لك أبواب رحمته، فلن تشقى أبداً، فقط: أدمن قرع الباب!
وإذا منع = فمنعه حكمة.

(٢) لن تخلو حياتك - وإن كنت فيما تحب - من منغص وكبد، فعشها كما هي، لا كما تريد، وتذكر يوم النعيم المقيم لتعمل له

سورة يس

(١) «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ...» [يس: ٢٠].

فوائد من قصة الرجل في آل ياسين:

- أبسط داعية (أسلوب سهل).

- لم يدع إلي نفسه (اتبعوا المرسلين).

- قتلوه ومع ذلك تمنى لهم الهداية

لا تنتشغل بشغل الدنيا عن شغل الآخرة، فإن فعلت فأنت مغبون، فإن كل نعيم هنا لا محالة زائل، أما هناك فلك ما تدعي!

ولو علم أهل الجنة عمن شغلوا ما همهم ما شغلوا به!

سورة ص

إذا أردت أن تكون قويًّا في الحق، قويًّا في طاعة الله، ذا بصيرة في الأمور وعواقبها، موفقًا إلى السداد = فكن من أهل الآخرة تذكّرًا وتذكيرًا!

[سورة الزمر]

(١) في بعض أقوال أهل التفسير، أن القنوت قراءة القارئ في الصلاة.

القرآن والصلاة في ناشئة الليل!

«إنَّ لناشئة الليل قناديل أخرى تنبض بنور أخضر، نور يمدّه زيت الحذر من وعيد الله، وأريج المحبة لجمال الله .. فتبتّهج الدوالي حزناً وفرحاً، وتنشط الخفاف سيراً إلى الله، قياماً وسجوداً .. ذلك فصل فريد خارج فصول المدار، ومطلع خفي من غير المطالع الخمسة، له إشراق ربيعي، وأريج من كثران الجنة، يملأ الحراب مسكاً وريحاناً

سورة غافر

الطاغية إذا لم يستطع مجابهة الحجة بالحجة = انتقل إلى القتل!

سورة فصلت

(١) لا تسأم!

فقم إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض، مغبون من لم يجد فيها موضعاً لقدمه!

(٢) للقرآن أسرار .. لا تظهر إلا بطول المصاحبة!

«وإنَّه لكتاب عزيز» [فصلت: ٤١].

٣) القرآن .. والعبادة الموسمية

بعض الناس يتعامل مع الكتاب العزيز تعاملًا موسميًا، فلا يقترب منه إلا في مواسم الطاعة خاصة (رمضان)

[سورة الزخرف]

لا تكن ولعًا بالخصومة، فإن الله ذم قومًا فقال عنهم: ﴿بل هم قومٌ خصمون﴾ [الزخرف: ٥٨]، فلتكن خصومتك للحق وبالحق!

[سورة الأحقاف]

إذا لم تنتفع بالحق، ولم تعمل به، فلا تكن مسوغًا للباطل، ولا داعيًا إليه، فإن هذا داء قديم حذر الله منه.

وقد يُسبق الإنسان في طريق الحق، فتأبى نفسه أن يكون تابعًا، ولا ينبغي أن يكون ذلك حاجزًا عن اتباع الحق، فقد يسبق المتأخر

سورة محمد

(١) سورة محمد ﷺ

سورة محمد هي سورة القتال!

وبعدها مباشرة سورة الفتح، وفي هذا إشارة للفتن.

وفي هذه السورة ذكر الله صلاح البال، ولم يذكر الله صلاح البال في القرآن صريحًا إلا في هذه السورة، ومن تأملها وجد راحة البال المنشود.

(٢) من نعم الله على أهل الجنة، صلاح البال!

بل هو من أجزية الشهادة

سورة الذاريات

وصف ربنا طبيعة السير إليه، فقال أمرًا: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

والفرار يتضمن «مباعدة بخفة مع استرسالٍ تكررٍ أو دوام».

ومن شأن الفارّ أن تصيبه الكبوة بعد الكبوة، لكنها لا تلفته عن مساره، بل يظل سائرًا يستمد من كبوته زادًا لطريقه الممتد حتى يلقي الله الذي لا ملجأ منه إلا إليه.

[سورة الحديد]

(١) طول العهد في البعد عن الوحي = سبب عظيم من أسباب قسوة القلب!!

وليس للإنسان إلا أن يتصالح مع الوحي، ويعالج نفسه للإقبال على الوحي قرآنًا وسنة لإذابة تلك القسوة، كل هذا مع دعاء للذي يحيي الأرض

[سورة المجادلة]

ما أجمل هذه العبارة ﴿وتشتكي إلى الله﴾ .. اشتكت إلى من إليه الشكوى سبحانه وبحمده.

عرفت المرأة أن الله كاشف الضر، ومجيب المضطر، فلنعرف ونعمل.

المؤمن لا تلحقه ذلّة بمصيبة أصابته، إلا أن تكون مصيبة في الدين - أعاذنا الله منها

سورة الحشر

من رحمة الله ونعمته علينا أن نرى أثر القرآن على الصحابة في حوادث الأمة المستجدة.

نرى أهل النفاق وتربصهم بأهل الإيمان.

نرى الأخوة بين أهل النفاق وإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب!

سورة الملك

إنَّ الله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة، وقدر على كل إنسان بما هو كذلك نصيبه من البلاء!

سورة الجن

لما استمعت الجن القرآن قال بعضهم لبعض أنصتوا، وقالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد﴾ [الجن: ٢]، وفي الأثر: «لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد».

لم يبق عليك إلا أن تقرأ، وتفهم، لتشهد العجائب

سورة المدثر

ليس في طريق الآخرة وقوف!

[سورة الإنسان]

سورة الإنسان، سورة ﴿هل أتى﴾!

من السور الفريدة، فريدة في خطابها، فهي تخاطب الإنسان من حيث كونه إنساناً، وهذا المعنى من المعاني المتواطئة!

في هذه السورة بلاغ للجميع.

تبدأ السورة بما قبل الوجود، مروراً بالنشأة، إلى الطريقين

جزء (عم/ النبأ)

المبدوء بسورة النبأ، والمختوم بسورة الناس.

الجزء المبارك الذي يعلم الإيمان!

الذي يتحدث عن الله وما له من الجلال والجمال.

يتحدث عن الإنسان من حيث حقيقته وطبيعة نفسه، وكيف يكرمها، ومتى يكون مهاناً.

عن الدار الآخرة من الموت وحتى المثلوى الأخير!

أمام المرأ فرصة ليتعلم معانيه، فيدرك بذلك كثيراً من معاني القرآن، بل أمامه فرصة ليحفظه قبل رمضان، فيتنعم به في صلاته إن أراد أن يتزود من النوافل.

[سورة النازعات]

قال الإمام ابن عطية □: «وقوله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] نهاية في المخرقة = ونحوها باق في ملوك مصر وأتباعهم»، [المحرر الوجيز

مع الظلام الدامس، والضباب الكثيف، ليس لنا إلا أن نقول: اللهم اكشف الغمة أنت رب المستضعفين

سورة الطارق

كثير هو الزيف في عالم الناس، لكنهم سيقفون جميعاً أمام الحق، بالحق، ليظهر الحق

سورة العلق

كلما أقبلت على القرآن أكثر = تعرضت لكرم الأكرم.

[(١) علم التفسير وسؤال المنهجية]

ما السؤال؟

إننا لنشكو في هذه الأزمان من العشوائية في طلب العلوم على اختلافها، وعلم التفسير من العلوم التي أخذت نصيبها من تلك العشوائية

ولذلك فلا بد أولاً من سؤال ينبني عليه طبيعة الكتب التي ستقرأ، وطريقة القراءة، وهو ما الهدف من قراءتك لكتب التفسير؟ واختصاراً فإن الناس ينقسمون في قراءة كتب التفسير إلى:

١ - مرید لمعرفة معنى الآية الإجمالي، مع إدراك شيء من لطائفها، ليفهم كلام ربه □، إذ كيف يلتذ بكلام الله من لا يعرف معانيه؟!!

٢ - طالب علم يريد - إضافة إلى ما سبق - الترقى في هذا العلم كما يترقى في غيره من العلوم.

فأما الأول، فإنه بحاجة إلى أمرين:

١ - إدراك غريب القرآن، وكيفيه ما يعينه على إدراك معنى الكلمة من أقرب طريق، ككتاب الشيخ العلامة: مخلوف، أو كتاب د. الخضيرى (السراج في بيان غريب القرآن).

٢ - إدراك المعنى الإجمالي، وهناك كتب ألفت في هذا المجال، وهي كتب يسيرة سهلة، ككتاب التفسير الميسر، أو المختصر في التفسير، أو تفسير العلامة السعدي، أو المعين على تدبر الكتاب المبين للأستاذ مجد مكي

أما الثاني - وهو موضوع المقالة -، فيحتاج أن يسلك طريقاً تعينه على إدراك مراده، وذلك ما سأجته في إبرازه في الآتي، فأقول:

أولاً: إنَّ طالب العلم بحاجة إلى معرفة الفرق بين التفسير وبين المعلومات الموجودة في كتب التفسير

ثانياً: إذا علمت ذلك، فإن أولى ما تتوجه إليه العناية أن تعتني بالمعاني

ثالثاً: أول ما تهتم به - رعاك الله - أن تدرك أمرين اثنين

١ - إدراك غريب القرآن، ومن أيسر كتبه (السراج للخضير)، وأجلها (مفردات الراغب).

٢ - إدراك المعنى الإجمالي، فاهتم بالكتب التي تصور المعنى في ذهنك تصويراً صحيحاً

ومن الكتب التي أقترحها لك:

- التفسير الميسر، مجمع الملك فهد.

- المختصر في التفسير، مركز تفسير

ومما أختاره وأشجع عليه، أن لا تكتفي في هذه المرحلة بكتاب واحد، بل كن ذا همة، واجمع بين كتابين من كتب التفسير لنألاً تتعنى في المرحلة التالية، وهما: (التفسير الميسر)، وتفسير الإمام (ابن جزي الكلبي

رابعاً: بعد هذه المرحلة يلزمك لزماً أن تطلع على كتب علوم القرآن، وأصول التفسير، وطرف من مناهج المفسرين

خامساً: بعد هذه المرحلة التي تكون قد أدركت فيها:

- ١ - المعنى الإجمالي، مع معرفة الغريب.
- ٢ - وأدركت طرقاً من علوم القرآن وأصول التفسير، ومناهج المفسرين.
- ٣ - مع دراستك لمبادئ العلوم الشرعية، وبخاصة علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، إذ هن إخوة لعلات

ومن الكتب المرشحة لهذه المرحلة، كتاب الإمام ابن الجوزي، (زاد المسير، ط. المكتب الإسلامي، أو دار الفكر)، وهو أحد الكتب التي كان يعتمد عليها الشيخ تقي الدين سادساً: وبعد تلك الرحلة - أيها الموفق - عليك بكتابين عظيمين جليلين، لإمامين من أئمة هذا الشأن، أحدهما الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، وكتابه جامع البيان وأما ثاني الأئمة فهو المحقق الفقيه القاضي الإمام أبو محمد ابن عطية، وكتابه المحرر الوجيز

وعليك في أثناء قراءتك، بالاعتناء بالتالي:

- ١ - معرفة أقوال السلف
- ٢ - القواعد العلمية التي يستخدمها العلماء من أهل التحقيق.
- ٣ - طريقة الوصول للمعنى
- ٤ - مناقشة الاختلاف بين المفسرين
- ٥ - التعرف على منهجية المفسر

(٢) علوم القرآن

سأذكر هنا منهجًا يبني طالب العلم من خلاله نفسه في علم (علوم القرآن المجيد)، وذلك عبر الخطوات التالية:

أولاً: يطالع كتاب: «الدليل إلى القرآن»، عمرو الشرقاوي، الإصدار الثاني، وله شرح عليه بموقع: (إنه القرآن).

ثانياً: يطالع تاريخ العلم من بحث: «علوم القرآن تاريخه وتصنيف أنواعه»، د. مساعد الطيار، ضمن كتابه: (بحوث محكمة)، وبحث: «أول من ألف في علوم القرآن»، د. خالد الواصل

ثالثاً: يذاكر أحد الكتب التالية، مع مطالعة الآخر:

١ - القواعد الأساسية في علوم القرآن، عبد الله الجديع

٢ - الوجيز في علوم القرآن، علي العبيد

رابعاً: يعتني بكتاب: المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار

خامساً: يعتني بمذاكرة كتاب: مواقع العلوم من مواقع النجوم، للبلقيني

سادساً: يقرأ:

١ - علوم القرآن بين الإتقان والبرهان

٢ - علوم القرآن بين الإتقان والزيادة والإحسان

سابعاً: يطالع مناهل العرفان، للزرقاني مع دراسته وتقويمه، د. خالد السببت،

ثامناً: يطالع مع المقارنة:

١ - البرهان في علوم القرآن، للزركشي

٢ - الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي

٣ - الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة

(٣) أصول التفسير

أولاً: إنهاء المرحلة الأولى في علوم القرآن.

ثانياً: معرفة تاريخ العلم من خلال بحث «جهود الأمة في أصول التفسير»، د. مساعد الطيار، ضمن كتابه: (بحوث محكمة)

ثالثاً: يستمع لمحاضرات (علم التفسير .. مقدمة أساسية)، عمرو الشرفاوي، ولو طالع الكتاب لكان حسناً.

ثم يعتني بكتاب التحرير في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، ويستمع إلى شرح (عمرو الشرفاوي) عليه.

رابعاً: يذاكر شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي.

خامساً: يطالع شروح د. مساعد الطيار على مقدمات التفسير، وما صدر منها:

١ - شرح مقدمة ابن جزي الكلبي

٢ - شرح مقدمة الطبري

٣ - شرح مقدمة ابن عطية

سادساً: يعتني عناية بالغة بكتاب الاستدلال على المعاني في التفسير، د. نايف الزهراني

سابعاً: يقرأ الكتب التالية قراءة تأمل:

١ - قواعد التفسير، د. خالد السبت.

٢ - قواعد الترجيح، د. حسين الحربي.

٣ - اختلاف السلف في التفسير، د. محمد صالح

ثامناً: يقرأ:

١ - أصول التفسير في المؤلفات، إعداد: وحدة أصول التفسير، ط. مركز تفسير.

٢ - أصول التفسير في آراء المتخصصين، إعداد: وحدة أصول التفسير، ط. مركز تفسير.

تاسعاً: يطالع المنجز المكتوب على موقع مركز تفسير

[خاتمة]

ذلك هو القرآن: النور الذي أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، الهداية التي تنزل القلب لتحييه، وتزيل عنه الران.

فلنجعل القرآن رفيقاً لنا في جلواتنا وخلواتنا، ولننهل من معينه الصافي، ونوره الذي لا ينفد.

لنتمسك بالقرآن كما تمسك به أهل الإصلاح قبلنا، ولنفتح به قلوب الناس، ليكون جهادنا به، ودعوتنا به، وبصرنا به.

إنَّ الإبصار لا نيابة لأحد فيه عن أحد، ولن يحدثك عن القرآن مثل القرآن، وإنما الناس واصفون، ودالُّون، فإن أردت أن تبصر فاهلم بنفسك.

افتح كتاب الله، واجعله أنسك، وقلبه ولا تمل، فإنَّ الله لا يمل حتى تمل!

ابحث عن الدواء الذي طالما أردته في القرآن، واصب ، القرآن وراء «كل كلمة منه حكمة بالغة، وسر من أسرار السماوات والأرض، وحقيقة من حقائق الحياة والمصير، ومفتاح من مفاتيح نفسك السائرة كرهاً نحو نهايتها